Research in Contemporary Literature **Volume 15, Issue 57**
Islamic Azad University in Jiroft **June 2023**
https://cls.jiroft.iau.ir/ **pp. 116-138**

10.30495/CLS.2023.1979122.1398

Research Article

A Study of the Features of the Adolescent Novels for the Sacred Defense (Daoud Ghaffarzadgan, Mohammad Reza Bayrami)

Maryam Alkhatib[1*], Ali Asghar Babasalar[2]

Abstract

Sacred Defense authors were interested in writing stories and novels for adolescents and young adults because of their importance and fundamental role in society, especially during the war. They considered the teenage novel a platform for conveying their thoughts and messages to the readers. They tried to document the events of the war imposed on Iran by the Iraqi forces, the accompanying material, and moral sacrifices by the Iranians to defend the homeland, and the negative, psychological and material effects on those who lost their loved ones, homes, and members of their bodies, and how their lives became after all these calamities and misfortunes. In addition, the authors address these issues through ethical aspects. Accordingly, this article aims to study the features of the adolescent novels ethically for the sacred defense based on the works of Mohammad Reza Bayrami (Smoke behind the hill, suspension bridge, and locust shadow) and Daoud Ghaffarzadgan (Ayoub night and Midnight Song) using an analytic-descriptive approach. The results show that both authors encouraged the reader to have two critical moral values. The first is the love of the homeland and sacrifice to defend it, while the other is hope. Because the first aspect is the best solution to war, and the second is the best solution to the psychological effects of war. They showed that a person, despite his pain, weakness, and injury, must accept new circumstances and continue his life with positive thoughts and a strong spirit because despair and weakness are actual losses.

Keywords: Sacred Defense, Adolescent Novel, Ethical Values of the Adolescent Novels, Daoud Ghaffarzadgan, Mohammad Reza Bayrami

How to Cite:
Alkhatib M, Babasalar AA., A Study of the Features of the Adolescent Novels for the Sacred Defense (Daoud Ghaffarzadgan, Mohammad Reza Bayrami), Journal of Research in Contemporary Literature, 2023;15(57):116-138.

1. PhD Student, Department of Persian Language and Literature, Faculty of Literature and Human Science, University of Tehran, Tehran, Iran
2. Assistant Professor, Department of Persian Language and Literature, Faculty of Literature and Human Science, University of Tehran, Tehran, Iran

Correspondence Author: Maryam Alkhatib **Email:** alkhatib.maryam@ut.ac.ir

Receive Date: 01.02.2023 **Accept Date:** 11.06.2023

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

دوره ۱۵، شماره ۵۷
بهار ۱۴۰۲
صص: ۱۳۸-۱۱۶

10.30495/CLS.2023.1979122.1398

مقاله پژوهشی

بررسی ویژگی‌های رمان‌های نوجوانان مختص دفاع مقدس (داوود غفارزادگان، محمدرضا بایرامی)

مریم الخطیب[1]*، علی اصغر باباسالار[2]

چکیده

به دلیل اهمیت فراوان نوجوانان و نقش اساسی آن‌ها در جامعه به‌ویژه در دوران جنگ، نویسندگان دوران دفاع مقدس به نوشتن داستان و رمان برای آنها علاقه‌مند بودند. آن‌ها، رمان نوجوان را سکویی برای رساندن اندیشه‌ها و پیام‌های خود به خواننده دانسته و تلاش کردند وقایع جنگ تحمیلی عراق علیه ایران، فداکاری ایرانیان برای دفاع از میهن، آثار منفی روانی و مادی آن بر کسانی که عزیزان خود، خانه‌ها و اعضای بدن خود را از دست دادند و اینکه چگونه آنها زندگی خود را پس‌از تحمل این همه مصیبت و بلاها ادامه دادند، مستند کنند. آن‌ها از طریق جنبه‌های اخلاقی به این مسائل بپردازند. این مقاله به بررسی ویژگی‌های اخلاقی رمان‌های نوجوانان در خصوص دفاع مقدس، برگرفته از آثار محمدرضا بایرامی (دود پشت تپه، پل معلق و سایه ملخ) و داود غفارزادگان (شب ایوب و آواز نیمه‌شب) با رویکرد تحلیلی- توصیفی می‌پردازد. نتایج حاکی از آن است که هر دو نویسنده، خواننده را به داشتن دو ارزش اخلاقی و مهم عشق به وطن (و فداکاری برای دفاع از آن) و همچنین امید تشویق می کنند. زیرا جنبه اول، بهترین راه حل جنگ و جنبه دوم، بهترین راه حل برای تبعات روانی جنگ است. آنطور که آن‌ها نشان دادند، انسان باوجود درد، ضعف و آسیب باید شرایط جدید را بپذیرد و با افکار مثبت و روحیه قوی به زندگی خود ادامه دهد، زیرا ناامیدی واراده سست، علت باخت واقعی در جنگ است. نویسندگان نقش مهم ارزش‌های اخلاقی را در غلبه بر ناامیدی، ضعف و درد نشان دادند.

واژگان کلیدی: دفاع مقدس، رمان نوجوانان، ارزش‌های اخلاقی در رمان‌های نوجوانان، داوود غفارزادگان، محمدرضا بایرامی

۱. دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه تهران، تهران، ایران
۲. استادیار، گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه تهران، تهران، ایران

نویسنده مسئول: مریم الخطیب **ایمیل:** alkhatib.maryam@ut.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۱۱/۱۲ **تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۰۳/۲۱**

ارجاع: الخطیب مریم، باباسالار علی اصغر، بررسی ویژگی‌های رمان‌های نوجوانان مختص دفاع مقدس (داوود غفارزادگان، محمدرضا بایرامی)، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۷، بهار ۱۴۰۲، صفحات

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فی جيرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة ١٥ ، العدد ٥٧
ربيع ١٤٤٤
صص: ١٣٨-١١٦

10.30495/CLS.2023.1979122.1398

مقاله پژوهشی

دراسة ميزات روايات المراهقين للدّفاع المقدّس (داوود غفارزادگان، محمدرضا بايرامي)

مريم الخطيب[1]*، علي أصغر باباسالار[2]

الملخّص

اهتمَّ كتَّاب الدّفاع المقدّس بكتابة القصص والرّوايات لفئة المراهقين والنّاشئة ؛ لما لهذه الفئة من أهميّةٍ كبيرةٍ ودورٍ أساسيّ في المجتمع ولاسيّما في أثناء الحرب ، فعدُّوا الرّوايةَ الموجّهةَ للمراهقين منبراً لنقل أفكارهم وإيصالِ رسائلهم إلى القرّاء. قد حاولوا فيها توثيق أحداث الحرب العراقية الإيرانية المفروضة ، وما رافقها من تضحياتِ الإيرانيّين المادّيّة والمعنويّة في سبيلِ الدّفاع عن الوطن ، وما خلّفته من آثار سلبيّةٍ نفسيّةٍ وماديّةٍ حلّت بمن فقدوا أحبّتهم أو منازلهم أو بمن أُصيبوا بإعاقةٍ جسديةٍ دائمة ، وما طرأ على حياتِهم من تغيّراتٍ بعد كلّ هذه النّكبات والمصائب. عالج الكتّابُ هذه القضايا مركّزينَ على الجوانب الأخلاقيّة ، وعليه تستهدف هذه المقالة دراسة ميزات روايات المراهقين للدّفاع المقدس من النّاحية الأخلاقية استناداً إلى أعمال محمد رضا بايرامي (دود پشت تپه ، پل معلق وسايه ملخ) وداوود غفارزادگان (شب أيوب وآواز نيمه شب) وذلك باستخدام المنهج التّحليليّ الوصفيّ. أظهرَتِ النّتائج أنّ المؤلّفَين كليهما شجّعا القارِئَ على أن يتحلّى بقيمتينِ أخلاقيّتَين مهمّتين ؛ أُولاهُما حبّ الوطن والتّضحية في سبيل الدّفاع عنه ، أمّا الأُخرى فهيَ الأمل ؛ لأنَّ الحلّ الأمثل للحرب يتجلّى في الدفاع عن الوطن والتّضحية في سبيله ، أمّا الأمل فهو الحلّ الأمثل لآثار الحرب النّفسيّة ؛ لذا فإنَّ المؤلّفَينِ أظهرا ضرورةَ أن يتقبّلَ الإنسانُ الظّروفَ الجديدة وأن يواصلَ حياته بأفكارٍ إيجابيّة وروحٍ قويّة مهما واجهَ مِن ألمٍ وضعف ، ومهما عانى مِن يأسٍ وإحباط ، فاليأس والضعف هما الخسارة الحقيقيّة ، والفشل الوحيد.

الكلمات الدليليه: الدّفاع المقدس ، رواية المراهقين ، القيم الأخلاقيّة في روايات المراهقين ، داوود غفارزادگان ، محمدرضا بايرامي

١. طالبة دكتوراه ، قسم اللغة الفارسية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة طهران ، طهران ، إيران
٢. أستاذ مساعد ، قسم اللغة الفارسية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة طهران ، طهران ، إيران

المؤلف المختص: مريم الخطيب **البريد الالكترونى:** alkhatib.maryam@ut.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٤٤٤/٠٧/١٠ **تاريخ القبول:** ١٤٤٤/١١/٢٢

المقدمة

ربّما كانتِ الحرب العراقية الإيرانية المفروضة قد انتهت منذُ وقتٍ طويل ، لكنَّ آثارها لمّا تنتهِ بعد ؛ إذ إنَّ العديد من الناس -خاصّة المتضرّرين- مازالُوا يواجهونَ صعوبةً في تقبُّلِ الظّروفِ الجديدة والتّأقلم معها ؛ فنتائجُ الحربِ المؤلمة وتداعياتها المؤسفة تركَت أثراً كبيراً في حياتهم وجعلت معاناتهم طويلة الأمد. هذه المعاناة تكوّنت عند بعض النّاس بسبب فقدانهم لعوائلهم ، وعند بعضهم بسبب الانفصال عن الأحبّة ، وقد ترافقت هذه المصائب مع مشاعر اليأس والحزن وفقدان الدّافع للمضيّ قدمًا. فجاءَ أدب الدّفاع المقدّس سلاحاً بيدِ الكتّاب الّذينَ حاولوا فعلَ ما أمكنهم لتخفيفِ الجراح والآلام النّفسيّة الّتي سبّبتها الحربُ المفروضة على الكبير والصّغير من خلال مؤلّفاتهم وأعمالهم الأدبية.

عرَّف (حسن بارونيان) أدب الدّفاع المقدّس بأنّه: «مجموعة من الآثار الأدبيّة الّتي يشير موضوعها وسِمتها إلى قضايا الثّمان سنوات من الدّفاع المقدّس ونتائجه.» (بارونيان ، ١٣٨٧ش: ١٣٦). وبناءً على هذا ظهر كتّاب اختصّت مؤلّفاتهم بمواضيع الدّفاع المقدّس وقضاياه ، وكتبُوا العديد من القصص والرّوايات الّتي تصف أحداث الحرب العراقية الإيرانية المفروضة. وقد خصَّ العديدُ مِنهم فئة الأطفال والمراهقين بكتاباتهم ؛ لأهمّيّة هاتين الفئتين في المجتمع ودورهما الأساسيّ فيه ؛ لأن إصلاحهم وترميم جراحهم من آثار الحرب يعني إصلاح المجتمع كلّه. اعتمد الكتّاب والمؤلّفون على إيصال أفكارهم ورسائلهم إلى الأطفال والمراهقين من خلال الرّواية بأسلوب يتناسب مع سنّهم وإدراكهم ، و«الرواية هي سردٌ قصصيٌّ طويلٌ نِسبيًّا ، يصوّر الشّخصيّات ووجودهم في مواقع منظّمة للأحداث والمشاهد ، ولا يقلّ عدد الكلمات في الرّواية عن ثلاثين إلى أربعين ألف ، ولا يوجد حدّ أقصى لطولها وحجمها الفعليّين.» (داد ، ١٣٧٥ش: ١٤٤).

حاول كتّاب "الدّفاع المقدّس" تعريف الأطفال والمراهقين بأحداث الحرب والأضرار المادّيّة والنّفسيّة التي سبّبتها عن طريق الرّواية ، وضمَّنوا الرّواياتِ القيمَ الأخلاقيّة الصّحيحة من خلال الحديثِ عن تجاربَ لشخصيّات الرّوايات مماثلةٍ لِما يُمكنُ أن يكونَ القُرّاءُ قد مرّوا به ، وأكّدوا فيها إمكانيّة معالجة الضّرر النفسيّ النّاجم عن الحرب بمرور الوقت ، هذا الضّرر الّذي قد ينتقل من جيلٍ إلى جيل إن لم يُعالَج ، وهم يعتقدون أنّهم بهذه الطريقة سيقومونَ بإنشاءِ جيلٍ قويٍّ في المستقبل قادرٍ على مواجهةِ مشاكل الحياة وتحدّي الظّروف الصّعبة.

يجدرُ بالذّكرِ هُنا أنّ الأخلاقَ غالباً ما تكون نتيجةً لسلوكٍ فطريّ عند الإنسان يدلّ على الطّبع الّذي خُلق عليه. «كلمة "أخلاق" هي صيغة الجمع لكلمة "خلق" ، الّتي تعني باللّغة "الفطرة والسّجيّة" ، بما في ذلك السّجايا الصّالحة والمحمودة ، مثل الصّدق والعفّة ، والسّجايا المذمومة ، مثل الكذب والدّنس.» (شريفي ، ١٣٨٨ش: ٢٥).

وقد تكونُ ردّةَ فعلٍ لظروفٍ قهريّة تخرج عن احتمال الإنسان لها ، فيظهر سلوكٌ جديد للإنسان يُقيَّم على أنّه أخلاقيّ أو غير أخلاقيّ ، وهذا النّوع من الخصائص الأخلاقيّة هوَ الذي نَخُصّهُ بالحديث في هذه المقالة.

يقول الباحث الإسلامي أبو علي مسكويه في تعريف الأخلاق: «الأخلاق حالة حسّيّة تدفع الإنسان إلى العمل دون الحاجة إلى التّفكير.» (مسكويه ، ١٣٧٥ش: ٥٧). لذا -ووفقاً لتعريف الأخلاق-فإنَّ الشّخص

يتصرّف وفقًا لحالته الحسّيّة ضمن ظروف معيّنة دون الحاجة إلى التّفكير ، فإذا كانت الأعمال مرضيةً وتتوافق مع المجتمع مثل الاحترام ، والثّقة ، والتّسامح ، والصّدق ، والأمانة ، والشّجاعة ، والصّبر...إلخ ، فهي تُسمّى أخلاق حميدة. أمّا الأفعال السّيّئة الّتي تضرّ بالمجتمع مثل إيذاء الآخرين ، وعدم احترام النّاس ، والكسل ، والغيرة ، والكذب ، والحقد ، والانتقام ، والغضب ...إلخ ، فتُسمَّى الأخلاق السيئة.

أسئلة البحث

- ما القيم الأخلاقيّة (الإيجابية والسلبية) الّتي ضمّنها الكتّاب في رواياتهم في ظلّ الحرب؟
- على أيّ من تلك القيم سُلِّطَ الضّوء؟ وما الهدف من ذلك؟

سابقة البحث

يبدو أن أهمّ القيم الأخلاقيّة الإيجابيّة الّتي أشار إليها الكتّاب في رواياتهم هي الدّفاع عن الوطن والتّضحية والشّجاعة والثّقة بالنّفس والتّعاون والأمل ، أمّا القيم السّلبيّة الّتي أشاروا إليها فهيَ الإحباط واليأس والرّغبة بالموت.

- سلَّط الكتّاب الضّوء على الدّفاع عن الوطن والتّضحية في سبيله والأمل ، وذلك للدّلالة على أنّ الدّفاع عن الوطن والتّضحية من أجله يُعدّانِ مفتاح النّصر لكلّ أمّةٍ تتعرّض لعدوانٍ خارجيّ ، والأمل هو البلسم الشّافي للجوانب السّلبيّة.

تعمّد كتّاب الدّفاع المقدّس إبراز هذه القيم في رواياتهم الموجّهة للمراهقين من خلال شخصيات القصص الّتي تعرّضت لظروف الحرب القاسية وتبعاتها الّتي تعرّضَ لها المراهقون القرّاء أنفسهم ، فبيّنوا ما صدر عن شخصيّات القصص من تصرّفات وما طرحُوهُ مِن أفكار سلبيّة وإيجابيّة ، وعرض الكتّاب نتائج هذه التصرفات على الفرد والمجتمع ، وحاولوا مُعالجةَ الآثار السّلبيّة لمساعدتهم على تقبّل الواقع وتخطّي الأزمات النّفسيّة الّتي تعرّضوا لها وعانوا مِنها.

إن معرفةَ المراهقين لمثل هذه الجوانب والمفاهيم من خلال القصص والرّوايات _وبالأخص عن طريق شخصيّات من فئتهم العمريّة نفسها_ تحثّهم على الاقتداء بهم والتّصرّف مثلهم ، وهنا تظهر أهمّيّة الإشارة إلى هذه الأخلاق وضرورة الإشادةِ بها في روايات المراهقين في فترة الحرب العراقية الإيرانية المفروضة.

لذلك وجدنا ضرورةَ تحليل الرّوايات والقصص لإيجاد الطّريقة التي حاول بها المؤلفون الخروج بالمراهقين من تبعات الحرب بأقلّ الخسائر النّفسيّة الممكنة. لذلك نستهدف في هذه المقالة تحليل الميزات والخصائص الأخلاقية من خلال المنهج التّحليليّ الوصفيّ في روايات المراهقين للدفاع المقدس في خمس روايات للكاتبين محمد رضا بايرامي "دود پشت تپه ، پل معلق ، سايه ملخ" وداوود غفارزادگان "شب أيوب ، آواز نيمه شب".

سوابق البحث

هناك العديد من الأبحاث والدّراسات الّتي بحثت في أدب الأطفال والمراهقين ودرست بعض الجوانب الأخلاقيّة الّتي وردت فيه ، لكنَّ هذه الأبحاث حاولت تحليل هذا النّتاج الأدبيّ اعتماداً على جوانب متعددة ، نذكر من هذه الأبحاث ما يلي:

- عزيزي وآتم (١٣٩٤ش) قدّما ورقة عمل حول قصص الأطفال بعد الثّورة الإسلاميّة ، إذ شُرِحت الموضوعات التربويّة والأخلاقيّة في قصص الأطفال بعد الثّورة الإسلاميّة بالاستناد إلى أعمال الكتّاب (سوزان طاقديس ، مصطفى رحماندوست ، فرهاد حسن زاده ومحمد هادي محمدي).
- قامت مريم عاملي رضائي (١٣٩٧ش) (وهيَ أستاذة مساعدة في اللّغة الفارسيّة وآدابها في معهد الدّراسات الإنسانيّة والثّقافيّة) بتحليل أساليب التّعبير الأخلاقيّ من خلال تحليل عشرين قصّة فارسيّة قصيرة ، ووفقًا لها فإنَّ الاهتمام بأشكال مختلفة من المواجهات الأخلاقيّة ، ووصف التّفاصيل ، واستخدام وجهات النّظر الموضوعيّة والخارجيّة ، واستخدام الاستعارات والرموز كلّ ذلك يُعدّ من بين أهمّ تقنيّات سرد القصص في إيصال رسالةٍ أخلاقيّةٍ للجمهور.
- من ناحية أخرى حاول عباسلو(١٣٩١ش) تقديم نهجٍ تقليديّ للمهتمّين ، وقد استُخدمَ هذا النّهج كثيراً في النقد الأدبي.
- وقامت مريم أخلاق عالي (١٣٩١ش) بمقارنة المفاهيم الأخلاقيّة والتربويّة ودراستها في أدب الأطفال والمراهقين معتمدةً على أعمال صمد بهرنگی ، رضا رهگذر ، سيروس طاهباز وهوشنگ مرادي كرماني.
- وقدَّم الأستاذ المساعد حسين شيخ رضائي وأشخاص آخرون (١٣٨٩ش) دراسة حول التّطوّر الأخلاقيّ للطّفل ، والأدب القصصيّ ، وعمِلَ على مناقشة الآثار القصصية لجمشيد خانيان وتحليلها من وجهة نظر التّطوّر الأخلاقيّ.
- أيضاً قدّمت نرجس سادات سجادية (الأستاذة في قسم لفلسفة والتعليم والتربية في جامعة طهران) وأشخاص آخرون (١٤٠٠ش) مقالة حول مكانة أدب الأطفال في جغرافيا التّعليم ، حاولت فيها صياغة التّحدّيات الّتي ستواجه أدب الأطفال في المستقبل وتقديم اقتراحات للتّصدّي لها ، وسعَت للوصول إلى تعريف منسجم لأدب الأطفال.
- أيضاً قدَّمت نسرين مسائلي وشقائق نيكنشان (١٣٩٥ش) مقالة بعنوان تحليل المفاهيم الأخلاقيّة وغير الأخلاقيّة في الرّسوم المتحرّكة المخصّصة للأطفال والمراهقين.
- ناقش الأستاذ رضا أشرف زاده في قسم اللّغة الفارسيّة جامعة (آزاد إسلامي) مدينة مشهد بالمشاركة مع سارا نوعي والأستاذة المساعدة بتول فخر إسلام (١٤٠٠ش) مقالة حول تحليل عناصر التّطوّر الأخلاقيّ عند الأطفال في قصص أحمد رضا أحمدي ، وذلك بالاستناد إلى نظريّة التّعليم الاجتماعيّ.

- قدّمت فريدة حميدي الأستاذة المساعدة في قسم علم النّفس وأشخاص آخرون (١٤٠١ش) مقالةً بعنوان (أثر التّعليم بواسطة أسلوب حلقات الاكتشاف الفلسفيّ على مهارات حلّ المشاكل الاجتماعيّة والإبداع لدى أطفال ما قبل المدرسة).
- أيضاً قدّمت معصومه كياني طالبة الدكتوراه في قسم فلسفة التربية في جامعة تربيت مدرس مقالة بعنوان (عرض النموذج الإسلاميّ في التّربية الرّوحيّة للأطفال) (٢٠١٦م)، سعى فيها إلى اتّخاذ نموذج إسلاميّ مثالاً في مجال تربية الطّفل الرّوحية على أساس فلسفة التّربية للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.
- أمّا ميرفت سلمان (١٣٩١ش) فقارنت في أطروحة الماجستير الخاصّة بها في جامعة طهران ، بين الأساليب الفنّيّة والأخلاقيّة في أدب الأطفال بناءً على أعمال نادر إبراهيمي (كاتب إيراني) ولينا كيلاني (كاتبة سورية)؛ هذا البحث خُصِّص للتّعرف على أعمال مؤلّفَين اثنين وتحليلها من خلال النّقد المقارن من وجهة نظرٍ فنيةٍ وأخلاقيّة.
- أمّا فيما يخصّ موضوع هذه المقالة الّتي تتطرّق إلى دراسة القيم والميزات الأخلاقيّة في روايات المراهقين للدّفاع المقدّس فلم نجد حتّى الآن بحثاً يتناول هذا الموضوع ؛ لذلك سنقوم بتحليل خمسة أعمال لمحمد رضا بايرامي وداوود غفارزادگان.

الأطر النّظريّة

غيَّرت ظروف الحرب وتبعاتها معتقدات المراهقين والناشئة ، فأثّرت على تصرّفاتهم الّتي انقسمَت إلى تصرّفات إيجابيّة أحياناً ، سلبيّة أحياناً أُخرى ؛ فظروف الحرب القاهرة الّتي مرّوا بها وجّهت أفعالهم ، ولم تعد هذه الأفعال خاضعةً لإرادتهم الحرّة ولا لطباعهم الفطريّة. من هنا جاءت أهمّيّة قصص الدفاع المقدس ودورُ كتّابها المتخصّصين ، فراحوا يشجّعون في قصصهم على مجموعةٍ من القيمِ الأخلاقيّة بطريقةٍ تزيد وعي المراهقين وتساعدهم على تقبُّل الواقع بعد الحرب وعلى الخروج من الأزمات النّفسيّة والمشاعر السّلبيّة الّتي تجلَّت من خلال تصرّفات ومواقف سلبيّة اتّخذوها في حياتهم المعيشة. فرأى الكتّاب أنَّ توظيفَ القدوةِ الحسَنَةِ في قصصهم وسيلةٌ قد تُسهِم في خلقِ أجيالٍ قويّة تتطلّعُ إلى المستقبل بعيون ملؤها الأمل ، وتبذل جهوداً كبيرة لتصل إلى أهدافها المنشودة ، فتؤدّي بذلك دوراً كبيراً في بناءِ مجتمعها وتطوّر بلادها.

والقدوة الّتي ارتأى الكتّاب توظيفها هي شخصيّةٌ مرَّت بالظّروف القاهرة نفسها الّتي مرَّ بها القرّاء المراهقين ، وعانت من الأزمات النّفسيّة القاسيةِ الّتي عانوا مِنها ، لكنّها اجتهدَت وثابرَت لتخرجَ من هذه المواقف والأزمات وتعودَ للحياة الطّبيعيّة بنظرةٍ إيجابيّة ومشاعر سليمة ، وابتعدت عن كلّ ما هو سيّئ يسبب الأضرار للأفراد أو للمجتمع. إنَّ هذه القدوة تروّج للإيجابيّات الّتي يجب أن تنتشرَ للتّخلّص من العادات والمعتقدات والأخلاقيّات السّلبيّة الّتي تهدم المجتمع ، فهيَ مثالٌ للإنسان الإيجابيّ الّذي يتمتّع بالثقة بالنّفس ، والتّفاؤل ، وحبّ الخير للآخرين ، وتقديم العون لهم ، وحبّ الوطن والدّفاع عنه ، وهيَ تحثّ على التّحلّي بصفاتِه.

يُقابلها الإنسان السّلبيّ الّذي لا ينظرُ إلّا لما ينقصه ، ولا يتذكّر غير المواقف السّلبيّة الّتي مرّت في حياته ، فلا يُفارقُهُ الشّعور بالإحباط واليأس ، فيكون في أغلب الأوقات غير منتجٍ في المجتمع ؛ بسبب فقدان الدّافع والرّغبة في الحياة. لذلك يُعدُّ توظيفُ القدوة الحَسَنة لإرشاد المراهقين من أهمِّ آليّات تعليم الأخلاقّ في قصص الدّفاع المقدّس ورواياتِه.

لمحة عامة عن الرّوايات والمؤلّفَين

محمد رضا بايرامي

يُعدّ محمد رضا بايرامي كاتباً متديّناً ومن كتّاب الدّفاع المقدّس ، كرّس جزءًا كبيرًا من وقته لروايات الحرب العراقيّة الإيرانيّة المفروضة ، وذلك من خلال نشاطه الأدبيّ المستمرّ على مدى العقود الثّلاثة الماضية. حاول بايرامي في قصصه إظهار الحالة الذّهنيّة والجسديّة السّيّئة للمراهقين بسبب الحرب من خلال شخصيّات قصصه ، وأشار إلى القيم الأخلاقيّة عند المراهقين في أثناء الحرب وبعدها.

دود پشت تپه

تحكي رواية " دود پشت تپه" قصّة بداية ثماني سنواتٍ من الدّفاع المقدّس في قرى جنوب إيران ، الرّاوي فيها صبيٌّ يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا يُدعى (عزيز)، ويعيش في ضاحية تُدعى (النّهر المُرّ). تبدأ الحكاية مع انتهاء الامتحانات ، وقبل أيّام قليلة من عيد النيروز ، إذ كانَ النّاس مشغولين بتجهيز ما يلزم للاحتفال بالعيد ، ينتظرون بفارغ الصبر وصول العام الجديد ، فيسمعون فجأة انفجاراً رهيباً ، مصدرُهُ مدافع العدوّ الّتي تستهدفهم. يصاب عزيز بالعمى نتيجة الهجوم ، فيصيبه اليأس والإحباط زمناً لا يلبَثُ أن ينتهي بمساعدةِ أحد الأصدقاء ، فتعودُ لديه الرّغبةُ في مواصلة تعليمه.

پل معلق

تدورُ أحداثُ قصّة "پل معلق" حول مراهقٍ يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا ويُدعى (نادر)، وهو جنديٌّ في فرقة الإطفاء الجوّيّة في طهران ، يلوم نفسه على وفاة عائلته ، فيقرّر الذّهاب إلى مناطق نائية قريبة من المناطق الّتي تشتدُّ فيها الحرب استعاراً ، آملاً أن ينقله الموت إلى أسرته ، لكنَّ الأحداث اللّاحقة تساعده على استعادة الأمل ومتابعة الحياة مرّة أخرى.

سايه ملخ

تدور أحداث هذه القصّة في منطقةٍ ريفيّة يغزوها الجراد في حرّ الصّيف فيدمّر المحاصيل ويُفني المزروعات ، ومع كلّ هذا الخراب الّذي شكّلَتهُ هذه الحادثة فإنّها لم تكن خلالَ القصّةِ إلّا مؤشّراً على حصولِ أحداث لاحقةٍ أشدّ سوءاً ؛ فالقوّات العراقيّة هاجمت القرية وسرقت أغنام المزارعين. الشّخصيّة الرّئيسة في القصّة هو "صابر" ، وهوَ أوّل من لاحظ وجود غرباء مجهولين ، فحاول الاقتراب من الحدود للتّعرّف عليهم.

في هذه القصة يشير الكاتب (بايرامي) إلى القضيّة المركزيّة المتمثّلة في أنَّ روح الجماعة والتّعاون بين القرويّين تجعلهم أكثر قوّة وثباتاً في وجه الصعاب.

داوود غفارزادگان

يُعدّ (داوود غفارزادگان) من أهمّ الكتّاب في مجال الدّفاع المقدّس ، تعكس معظم أعماله قصّة الحرب العراقيّة الإيرانية المفروضة وآثارها على المدن الإيرانيّة الّتي قُصفت ، ومعظم هذه الأعمال موجّهة للمراهقين.

شب أيوب

يروي المؤلف في رواية "شب أيوب" قصّة (أيّوب) عندما كان مراهقًا ، يعيش بسعادةٍ مع أصدقائه في مسقط رأسه. لكنّ سعادته لا تستمرّ ؛ إذ تقصف الطّائرات العراقيّة مدينته فجأة ، فيستشهد الكثير من النّاس أمام عينيه. هذه الأحداث المريرة تجعل أيّوب يقرّر مع أصدقائه الذّهاب إلى الجبهة ، وتُعلِّمه فيما بعد التّحلّي بالصّبر والأمل.

آواز نيمه شب

في رواية "آواز نيمه شب" ، يصف المؤلّف حياة عائلةٍ صغيرةٍ وظروفها ، وعلاقة أفرادها بالجيران في أثناء القصف ، وجهودهم للبقاء على قيد الحياة ، فيُظهر بذلك معاناة النّاس في أثناء القصف وآلامهم ومخاوفهم. الشّخصيّة الرّئيسة في هذه القصّة تُدعى (آسيا) ، وهي فتاةٌ عانَت كثيراً من الحرب والقصف ، وكانت تريد دائماً القيام بشيءٍ ما للدّفاع عن الوطن ، فلجأت إلى كتابة القصّة الّتي رأت فيها أفضل طريقة لمواجهة الحرب.

الخصائص الأخلاقية

تتميز روايات الدّفاع المقدّس بأنها تترجم واقع المجتمع وواقع الأفراد ، فهيَ تجسّد الأحداث التّاريخيّة لواقعة معيّنة ، وتعبّر عن مواقف الأفراد الإيجابيّة أو السّلبيّة في تلك الأحداث. وظّف كتّاب الدفاع المقدّس شخصيّات رواياتهم لتكونَ قدوةً للأجيال التي عاصرت الحرب العراقيّة الإيرانية المفروضة ، وخاصّة الّذين تضرّروا منهم جسديّاً ونفسيّاً ، ولتعلّم الأجيال الّتي لم تشهد الحرب فتزرع فيهم الحسّ الوطنيّ والعقائديّ. نشهد في الرّوايات المنتخبة لـ (محمد رضا بايرامي) و(داوود غفارزادگان) وجود المواقف الإيجابيّة والسّلبيّة لأبطال قصصهم وشخصيّاتها.

الجوانب الإيجابية

عكست روايات المراهقين للدّفاع المقدّس ردّة فعل الشّباب خلال الحرب والظّروف الصّعبة الّتي تلتها ، فكان منها ما هو إيجابيّ كالدّفاع عن الوطن ، والشّجاعة ، والتّعاون... ، ومنها ما هو سلبيّ كاليأس ، الإحباط ، الرّغبة بالموت... قد أدّت شخصيّات هذه الرّوايات دور القدوة للمراهقين فعلّمتهم وأرشدتهم للسّلوكيّات الصّحيحة عن طريق أفعالهم وأقوالهم وأفكارهم وتجاربهم.

التّضحية والدّفاع عن الوطن

في أوقات الحروب تعدّ هذه القيم الأخلاقية من أهمّ القيم الّتي يجب توجيه الشّباب والمراهقين إليها ليدافعوا عن وطنهم ضدّ أيّ عدوانٍ خارجيّ ، وقد أظهر (بايرامي) هذا الجانب بشكلٍ واضح من خلال

روايته "سايه ملخ" ، إذ كان (صابر) أحد أبطال روايته يرعى قطيعاً من الأغنام عندما لاحظ بعض الغرباء يقتربون من الأغنام ، ويحملون البنادق في أيديهم. فاختار (صابر) أن يطاردهم ويحدّد مكانهم بدلا من الهرب.

بيّن الكاتب في هذا الموقف وجود خيارين متاحين لـ (صابر) ؛ إمّا مراقبة الغرباء والتربّص بهم أو الهرب ، فكان ما اختاره (صابر) نابعاً من وعي أكبر من سنّه ، وقد قصد الكاتب بشكل غير مباشر أن يحثَّ المراهقين من خلال شخصيّة (صابر) على ضرورة التّمتّع بالوعي الكافي.

في موقفٍ آخر يأتي صابر بابن عمّه (حاتم) الذي كان يمتلك خبرةً في الأمور العسكرية ، والّذي أدرك سريعاً أنّهم غزاة. فتبعهم حاتم وصابر ، لكنَّ العراقيّين لاحظوا وجودهما وأطلقوا النار عليهما فأُصيب (حاتم) ، وطلب من صابر تركه في مكانه بعد أن أصيب والعودة إلى القرية لإبلاغ أهلها بخطورة الغزو العراقي وإنقاذهم من المجزرة والأسر المتوقّع ؛ «قال حاتم: إذا عبروا هذه الجبال ووصلوا إلى السّهل سوف يقتلون الجميع.» (بايرامي ، ١٣٨٨ش: ١٧٩-١٨٠). «قال حاتم: اسمع يا صابر! لن يستطيعوا العثور عليّ في هذا السّهل الكبير. أنت اعبر النّهر واذهب إلى القرية لتخبرهم بما حدث.» (نفسه: ١٩٦). هنا يُظهر الكاتب بأنَّ حاتم فضَّل نجاة أهل القرية وسلامة وطنه على نفسه ، إذ لم يُثنِهِ الخوف والإصابة عن أداء واجبه في الدّفاع عن القرية. هنا يوحي الكاتبُ بأهمّيّة هذه المواقف في تحديد نتيجة الحرب ، فيمكن القول إنّ الشّباب هم صنّاع النصر.

وفي موقف آخر نرى أن أهالي القرية يرسلون من يخبر نقطة التّفتيش الحدوديّة وأهالي باقي القرى ويحذّرهم من الغزو ؛ «-لا بدّ لأحدنا أن يوصل الأخبار لبقيّة القرى ونقطة التّفتيش الحدوديّة.

- من أين يمكننا الحصول على الحصان الآن ؟

- قال رحمن: خذوا حصاننا.

- وماذا عنك ؟

- أنا لست في عجلة من أمري. لا أستطيع إلّا أن أمشي هكذا.» (نفسه: ٢٣٥).

يظهر الكاتب أيضا تكاتف القرى الحدودية وتعاونها مع بعضها لمواجهة الخطر ، ويوحي للقرّاء بضرورة التّصرّف على غرار شخصيّات هذه الرّواية في مواقف مشابهة.

وفي رواية "دود پشت تپه" يُعدُّ (قاسم) وهو من أبطال الرّواية محارباً مُفعَماً بالقيم والمعتقدات المثالية حول الدّفاع عن الوطن ، والتّضحية في سبيله ، جاء للحرب ليدافع عن وطنه ويستشهد ، لكنَّ ساقه قد بُترت في الحرب ، وأصيب بالعمى ، فعجِزَ بسبب ذلك عن تحقيق رغبته في مواصلة الدّفاع عن الوطن.

أمّا في رواية "پل معلَّق" فقد أوضح بايرامي دور الجنود في حماية الحدود من هجوم الأعداء. يُعدُّ (نادر) من الشّخصيّات المحوريّة في هذه الرّواية ، إذْ إنّه بعد معاناةٍ طويلةٍ مع اليأس والشّعور بالذّنب تجاه موت أهله وتحطّم الجسر المعلَّق استطاع في أثناء إحدى حملات الأعداء على ثكنتهم العسكرية المتاخمة للحدود أن يحطّم طائرةً من طائراتهم ، وأن يحمي الجسر الّذي أُصلِحَ من جديد «كان نادر في تلك اللّحظة يسرع باتّجاه الجسر ليصل إليه ، ولم يكن يدرك شيئاً في تلك اللّحظة غير الهدف (تحطيم طائرة العدو) الّذي يريد تحقيقه بشوقٍ واللّحظة الّتي يتمنّاها منذ زمن.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١٣٢). إنَّ

في استبسال (قاسم ونادر وحاتم وصابر) في الدّفاع عن الوطن ما يُعطي القرّاء الدّافع والحافز للتّمتع بنفس الحسّ الوطنيّ للدّفاع عن أرضهم والتّضحية من أجله.

وأظهرَ (غفارزادگان) هذا الجانب بشكل جليّ في رواية "شب أيوب"، وذلك عندما شهد أيّوب وأصدقاؤه كيف دمّرت الغارات الجويّة مدينتهم، وأضرمت النّيران في كلّ مكان فيها، وفرَّ الكثير من الناس من المدينة إلى أماكن أكثر أمانًا، فتغيّر وضعهم تمامًا، حينها تركُوا فترةَ المراهقة السّعيدة وقرّروا دخول المنطقة العسكريّة بموافقةٍ وهميّة؛ «قال شريف علينا أن نذهب بأيّ شكلٍ من الأشكال، حتّى لو قمنا بتزوير استمارة الموافقة وإرسالها إلى الحرس الثّوريّ.» (غفارزادگان، ١٣٨٦ش: ٢٤). «حدث شيء ما لنا جميعًا، كان الأمر كما لو كنّا قد انسلخنا عن واقعنا خلال هذا الوقت، لقد تركنا العالم الّذي كنّا فيه وراءنا، كنّا مصمّمين على الذّهاب مهما كلّف الأمر. في ذلك الوقت لم يكن السّؤال لماذا يجب أن نذهب؟ لقد كنّا مندفعين للذّهاب، لقد أعدّ شريف كلّ شيء لكي لا نواجه أيّة مشاكل.» (نفسه: ٢٧). لم يكن تصرُّف أيّوب وأصدقائه نابعاً مِن تفكّرٍ وتعقّلٍ، وإنّما كان ردّة فعلٍ عفويّة ناتجةٍ عن الظّروف القاسية التي مرّوا بها في محاولةٍ مِنْهُم لدفعِ الموت والقتل عمَّن يحبّون.

ظهرت أيضا هذه القيمة (التّضحية في سبيل الوطن) بشكلٍ واضح عندما استشهد (جليل) وهو يساعد الجرحى؛ «رأيت جليلًا يسقط في منتصف الطّريق وقدماه ممدودتان على الأرض، وعندما وصلت إليه لم يعد يتحرّك، وقد كان تحت رأسه بقعة كبيرة من الدم.» (نفسه: ٦٢). يُظهِرُ الكاتبُ في هذا الموقفِ أسمى درجاتِ الدّفاع عن الوطن، وهي بذل النّفس في سبيله (نيل الشّهادة)، فـ(جليل) عرّضَ نفسه للخطر لتقديم الإسعافات الأوّليّة للجرحى، ولم يأبه بالخطرِ المحدِق الّذي يهدّد حياته في أثناءِ مساعدة الآخرين.

وثَّق (غفارزادگان) بطولة المراهقين وقت الحرب تقديراً لجهودهم، وليكونوا قدوةً للجيل الجديد، وحاول أيضاً أن يُوثّقَ دور المرأةِ في مواجهة العدوان في رواية "آواز نيمه شب"، إذْ إنَّ (آسيا) تُريد دائمًا أن تفعل شيئًا لمواجهة الحرب والقصف ولمساعدة الآخرين، لكنّها فتاة تُدركُ عجزها وقلّة حيلتها في ذلك؛ لهذا السّبب ترى أنّ كتابة القصّة هي وسيلتها الوحيدة الممكنة لمواجهة العدوّ؛ «لا شيء في يد فتاة في الرّابعة عشرة من عمرها.» (غفارزادگان، ١٣٩٦ش: ٩). أكّد الكاتب في هذا المثال بشكل صريح أهمّيّة كتابة القصّةِ الّتي توثّق الحرب، فلا يُمكنُ إنكارَ دورها في نقل التّجربة المريرة للأجيال الّتي لم تشهدها، وفي نشر الوعي لدى المراهقين.

أمّا (حميدة) صديقة (آسيا) فكانت تحبُّ المساعدة في أثناء القصف، لكنّها تعلم أنّها فتاة ولا تستطيع فعل أيّ شيء؛ لذا تحاولُ تبديد الخوف بالمزاح: «آسيا تقول: "النّساء والفتيات في خرمشهر كنَّ يقاتلن!"» (نفسه: ١٢).

إنّ التّضحية والدّفاع عن الوطن هي ردّة الفعل الطّبيعيّة للشّباب الإيرانيّين لكي ينتقلوا ببلدهم من الحرب إلى السّلم، فلولا التّضحيات الّتي قدّمها الكثير من الشّباب لما وضعت الحرب أوزارها، وانتهى بهم المطاف إلى برّ الأمان.

الشّجاعة

إنَّ التّضحية والدّفاع عن الوطن هو حلّ محوريّ لمشكلة الحرب ، ولكنَّ الإقدام عليه يتطلَّبُ مِنَ المرءِ أن يتحلّى بالشّجاعة. فمنَ الطّبيعيّ أن يشجّعَ الكتّاب على هذهِ القيمة لأنّها الدّاعم الأوّل لقيمة الدّفاع عن الوطن ، وتُعَدُّ أحد الحلول لمشكلة الحرب. هذه القيمة كانت مضمّنة بين أحداث الروايات ؛ إذ إنَّ الإقدام السّريع للفتيان والشّباب للدّفاع عن وطنهم إيحاءٌ بدور الشّجاعةِ المهمّ وتشجيعٌ للقارئ على التّحلّي بها ، إنّها تحتاج إلى قلبٍ مقدام لا يشوبه التّردّد ، ومع أنَّ أبطال الروايات مراهقون صغار فإنّهم لم يخافوا من الحرب وتبعاتها وكانوا شجعاناً في اختيار طريقهم.

على سبيل المثال قدَّم الكاتب (بايرامي) شخصيّة قاسم في رواية "دود پشت تپه" وهو فتًى جاء للحرب ليدافع عن وطنه ويستشهد في سبيله. أمّا في رواية "سايه ملخ" ، فنرى (حاتم) قد فضّل البقاء وحيداً في مواجهة الموت على أن يعود للقرية مع صديقه صابر ، هذا الحدث يشير إلى شجاعة قلَّ نظيرها.

وفي سياق مشابه ، نجد (غفارزادگان) يشير إلى هذه القيمة من خلال الاندفاع القويّ لمراهقيّ رواياته نحو الدّفاع عن الوطن ، فأيّوب ورفاقه في رواية "شب أيوب" يندفعون بشجاعة نحو الخطوط الأماميّة للدّفاع عن بلدهم ، وإن تطلّب ذلك تزوير الموافقة الأمنية للدخول إلى المنطقة العسكرية. ظهرت هذه القيمة أيضاً بشكلٍ واضح عندما استشهد جليل وهو يساعد الجرحى ؛ «رأيت جليلًا يسقط في منتصف الطريق وقدماه ممدودتان على الأرض. وعندما وصلت إليه لم يعد يتحرّك ، وقد كان تحت رأسه بقعة كبيرة من الدم.» (غفارزادگان ، ١٣٨٦ش: ٦٢).

في مكان آخر من القصة يروي الكاتب أحداثاً جرت في منتصف الليل ؛ إذ يهاجمُ العدوُّ المستوطنة ، ويفقد الجميع أطرافهم ، ومع ذلك فإنّ أيّوب وأصدقاءه يبدونَ الشّجاعة ؛ «صرخ عبّاس بأنّه علينا نزع سلاح العدو ، أطلَّ جليل برأسه من النّافذة والدّم ينزف من بين أصابعه ، وقد وصل شريف وعبّاس وسعيد إلى الباب ، كما أنّي ذهبت وراءهم أيضًا ، اندلع صوت إطلاق الرّصاص ، وصفيره يدوي في آذاننا وأدمغتنا ، قفزت وأزلت القناع عن وجهي ، كما انتزع الشّباب أسلحة العدوّ لهزمهم.» (نفسه: ٤٢).

أمّا فيما يخصّ شخصيّة آسيا في رواية "آواز نيمه شب" فكانت تمتلك الشّجاعة الكافية لمساعدة النّاس ، والدّفاع عن الوطن ولكنّها لم تمتلك القدرة على ذلك ؛ لذلك لجأت إلى طريقة أخرى في لمواجهة ، وهي كتابة القصّة وتوثيق الأحداث.

التّعاون والاتّحاد

تظهرُ قوّة المجتمعات في اتّحاد أفرادها وتعاونهم وتكاتفهم ، فقد صدقَ مَن قال "في الاتحاد قوة". من هذا المنطلق فإنّ التّضحية والشّجاعة قيمٌ يجبُ التّحلّي بها للخروج من مشكلة الحرب ، ولكنَّ العملَ الفرديّ لن يؤدّيَ إلى النّصر ، والخلاصُ لم يكنْ فرديّاً قطّ ، ولن يكون ؛ لذلك كان من البديهيّ أن يقوم كتّاب الدّفاع المقدّس بتضمين قيمة التّعاون من خلال أحداث رواياتهم. وذلك لكي يؤكّدوا للمراهقين أنّ بلدهم ضعيفٌ من دون تعاونهم واتّحادهم ، متهالكٌ وعاجزٌ من دون عملهم معاً ولا سيّما في زمن الحرب ، وهذا أشدّ ما كان يحتاجه المجتمع الإيرانيّ في وقتها.

في رواية "سايه ملخ"، يرسلُ القرويّون شخصاً أو شخصين إلى القرى المجاورة لإبلاغهم بوجود العدو، يذهب صابر أيضًا ليخبر نقطة التّفتيش الحدوديّة؛ «-لا بدّ لأحدنا أن يوصلَ الأخبار إلى بقيّة القرى وإلى نقطة التّفتيش الحدوديّة.

- من أين يمكننا الحصول على الحصان الآن؟

- قال رحمن: خذوا حصاننا.

- وماذا عنك؟

- أنا لست في عجلة من أمري. لا أستطيع إلّا أن أمشيَ هكذا.» (بايرامي، ١٣٨٨ش: ٢٣٥).

تحتاج القيم كلّها _ومنها التّعاون والاتّحاد_ لتنتشر إلى أن تبدأ بالفرد الّذي سيُدركُ أهمّيّتها ويعي آثارها الإيجابيّة، فيسعى لنقلها وحثّ الآخرين عليها، وبذلك يتوسّع انتشارها فتشمل مجموعات أكبر من الفرد؛ مثل اتّحاد القرى أو المدن مع بعضها؛ لذلك هدف الكاتب إلى التّأكيد على أهمّيّةِ الاتّحاد والتّعاون في رواياتِهِ الموجّهة للمراهقين؛ لتشجيعهم على المشاركة والعمل ضمن جماعات، والتّخلّي عن المصلحة الشخصيّة والأنانيّة، فهذه المشاركةُ تعودُ بالفائدة على الفرد والمجتمع. يطرح الكاتب مثالَ تعاونِ القرى مع بعضها في أثناء الحرب للنّجاة من الخطر ليقتديَ به المراهقون وليتعلّموا منه أهمّيّة العملِ الجماعيّ.

أمّا في رواية "آواز نيمه شب" فكان النّاس يساعدون بعضهم خلف الخطوط الأماميّة، حتّى العجزة وكبار السّنّ والنّساء يراهم القارئ يُشاركون بطريقةٍ ما في هذه الحرب؛ «الجدّة، بالنّظر إلى عمرها وقدرتها، تساهم أيضًا بالحربِ حيث تجمعُ النّساءَ لتحضير الطّعام واللّوازم الأخرى للمقاتلين.» (غفارزادگان، ١٣٩٦ش: ٥٩)، وهذا يبيّن أنّ التّكاتف شملَ أطيافَ المجتمع كلّها، ولم يكتفِ بالشّباب والرّجال، فتخطّي الأزمة يقع على عاتق الجميع، والارتقاء بالمجتمع من واجب أبنائهِ كلّهم.

الأمل

لا تنتهي الحربُ بانتهاءِ القتال؛ فما تخلّفه من نتائج كارثيّة أكثر من أن يُعَدُّ أو يُحصى، هذه النّتائج تتمثّل في حياةِ جرحى الحرب، وفي حياة الّذين فقدوا أهلهم وأصدقاءهم، إنّها أحداثٌ ستقود حتماً من مرَّ بها إلى الغرقِ في مشاعر اليأس والكآبة، وستؤدّي به إلى الانعزال والرّغبة في الانتحار. هذه المشاكل كان لا بدَّ لكُتّابِ الدّفاع المقدّسِ من مواجهتها، وكان لهم ذلك مِن خلال حثّ القرّاء على التّحلّي بالأمل، وقد عرضوا أهمّيّة هذه القيمة بشكل واضح خلال أحداث الروايات مستخدمين شخصيّاتهم في سبيل ذلك؛ فمنهم مَن استخدم رائحة الاخ ليبعث على الفرح والأمل، ومنهم من استخدم الصّديق ليكون الحافز والمساند لليائس يحثّه ويشجّعه على الوقوف على قدميه من جديد.

في رواية "دود پشت تپه" وصف الكاتب بايرامي حالة عزيز السّيّئة بعد أن أصبح أعمى ليسَ باستطاعته تذكّرُ وجه أخيه، لكنّهُ استطاع التّعرّف على أخيه من رائحته، وهذا الأمرُ جعله متفائلًا وسعيدًا؛ «لم أتذكّر شيئًا حتّى اللّحظة الّتي شعرت فيها برائحتِهِ، وفجأةً، أصبح كلُّ شيءٍ واضحاً وشفّافاً، لقد كان فرحاً كبيراً بالنّسبة لي.» (بايرامي، ١٣٨٣ش:١٣).

وعزيز نفسه عندما فقد بصره بسبب القصف الكيماويّ وفقدَ الأمل في الحياة، استعاد ذلكَ الأمل من جديد بمساندة صديقه قاسم ومواساته؛ «قال قاسم: "حاول أن تجد لنفسك هدفاً حتّى تقف على

قدميك ، أريد أن أكمل تعليمي عندما أخرج من هنا." قلت: "مع هذا الوضع؟ هل هذا ممكن؟" قال: "ولمَ لا؟ لا يوجد شيء مستحيل ، ليس لدينا مشكلة بالسَّماع ، أمّا الكتابة فيوجد آلات كتابةٍ مخصّصةٍ للمكفوفين ويمكن استخدامها بسهولة."» (نفسه: ٢٢٣). «في ذلك الوقت ، لم يكن لديّ أيّة فكرة أنّه في يومٍ من الأيّام سأحصل على واحدة من تلك الآلات وسأكون قادرًا على كتابة قصّتي بها.» (نفسه: ٢٢٣).

كلّ ما مرَّ به عزيز كان كفيلاً بأن ينهيَ حياته ويجعلَهُ عاجزاً لا هدف له أو أمل ، ولكنّ (بايرامي) أظهر للمراهقين والشّباب أنَّ الحياة يُمكنُ أن تُعاشَ بسعادةٍ ورضًى مهما واجهَ الإنسانُ فيها مِن صِعاب ، فـ (عزيز) بحثَ في داخله عن ذرّة أملٍ يتمسَّك بها لتنجيه من الوقوع في هاوية اليأس ، ونجح في ذلك بمساعدة أخيه وصديقه قاسم. لقد صمَّم على أن يعيش لأجل هدف يسعى إلى تحقيقه ، ووضع نصب عينيه بعض ما يستطيع القيام به ؛ الدّراسة ، أو ممارسة عمل معيّن ، أو كتابة قصّته الخاصّة ، وهذا الهدف ولَّد داخله أملاً يُنسيه مرارةَ ما حلَّ به. هذه التّجربة تعطي المراهقين دافعاً للأمام وحافزاً يجعلهم يتحدّون أيّة أزمةٍ يُمكن أن يكونوا قد تعرّضوا لها في حياتهم.

يُمكنُ أن نلمحُ في ذلك أنَّ (بايرامي) أوحى بأهمّيّة كتابة القصة للمراهقين الّذين تضرّروا من الحربِ للقصّة ، ولا سيّما تلك الّتي توثّق أحداث الحرب العراقيّة المفروضة على إيران ؛ إذ تُعَدُّ سلاحاً يدافع به المصابون عن أنفسهم وعن بلدهم حتّى بعد انتهاء الحرب ؛ وذلك بنقل التّجربة للجيل الآتي ليتعلّم سبلَ الدّفاعِ عن الوطن في المستقبل وخطورة العدوان.

وفي رواية "پل معلق" للكاتب نفسه يعود (نادر) إلى حياتِهِ الطّبيعيّة بعد إعادة بناء الجسر المدمّر ، وتحطيم إحدى طائرات العدوّ ، ومقابلته لفتاةٍ كانت ترعى الغنم عند النهر. هذا التّغيير كانَ مصحوباً بنوعٍ من القبول والرّضا للوضع الحاليّ ولموت أحبّائه ، وبنظرةٍ مليئةٍ بالحبِّ للحياة والتّفاؤل بها ؛ «كأنَّ انتباهه -الّذي ظهر للجميع- لا يلاحظ شيئًا سوى الشّيء نفسه الذي ينوي فعله ، وهذا يعني الدّخول إلى مكان أو الوصول إلى لحظة أو حلم أو شغف أو شرف -ربّما- يمكن من أجله تجاهل كلّ شيء.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش:١٣٣). يبيّن بايرامي هنا مدى أهمّيّة الأمل في عودة نادر إلى حياته الطبيعية ؛ إذْ إنَّ العشق كانَ جسراً أعادَ ترميمَ ما انكسرَ في نفسِه ، وحملَ الحياة والفرح إلى فؤادِه كالجسر المعلَّق الّذي حملَ بعد ترميمه الحياةَ إلى المنطقة والتّفاؤل إلى سكّانها.

أمّا الكاتب (غفارزادگان) فأشار إلى الأمل عند (أيّوب) في رواية "شب أيوب" ؛ فقد وجد سلامه الداخليّ بعد فترةٍ من الاكتئاب ، وقرّرَ أن يواصل حياته بالأمل ، ووجدَ الدّافعَ للاستمرارِ ، والحافزَ لمواصلةِ تعليمه ، وذلك بمساعدة الدكتور (صادقي)، تلكَ المساعدة لم تكن باللّين والمواساة ، بل كانت بالكلام القاسي والإهانة ليخرجه من حالة اليأس الّتي تعتريه ؛ «قرّرت متابعة دراستي وحياتي... تذكّرت كلام الدّكتور صادقي الحادّ ، وكان صوته يدور في رأسي.» (غفارزادگان ، ١٣٨٦ش: ١٢٠). «لقد خلقَ الدّكتور صادقي هذه الإحساس في داخلي ليس باللّطف واللّين ، ولكن بالإهانة والقسوة. لا أدري؟ ربّما كان على حقّ ، ورأى شيئًا لم أرَه. على أيّة حال ، لقد ساعدني على متابعة تعليمي.» (نفسه: ١٢١). «في نهاية المطاف ستنتهي هذه الحرب مثل أيّ حربٍ أُخرى ، وكلّ شيءٍ سيعود إلى طبيعته ، وسيأتي الوقت لتشفى الجراح وتلتئم.» (نفسه: ٩٥).

يؤكّد (غفارزادگان) في قصّته هذه ما للأهدافِ والطّموحاتِ مِن أهمّيّةٍ كبيرة ؛ إذ إنّها تدفعُ صاحبَها للمضيّ قدماً ، ويضمّنُ الكاتبُ قصّتَهُ رسالةً موجّهةً إلى مُصابي الحرب بشكل غير مباشر ، وذلكَ عندما أشارَ إلى أنَّ الحربَ لا بدَّ مِن أن تنتهي يوماً ، ولا شكَّ في أنَّ الحياةَ ستعودُ إلى طبيعتها ، وأنَّ الجراحَ النّفسيّة والجسديّة ستشفى ، لذلك علينا أن نتحلّى بالأمل ونتجمّلَ بالصّبر.

ويبدو الأملُ جليّاً في رواية "سايه ملخ" ، فأهل القرية –ومع هجومِ الجراد على محاصيلهم وإتلافها ، ودخول القوّات العراقيّة إلى أراضيهم- كانوا مؤمنين بأنّ هذهِ الصّعابَ ستنجلي ذات يوم ، وستشرق شمسٌ جديدةٌ تنشرُ الحياة والدّفءَ والأملَ في أرضهم.

التّعاطف والتّضامن ومساعدة الآخرين

نظرَ الكتّابُ إلى الأملِ بوصفه دواءً يُرمّم كثيراً من تبعات الحرب ومشاكلها النّفسيّة ، ولكنّه لا يكفي في معالجةِ ذلكَ ، بل يحتاجُ إلى دعائم أيضاً ، فمن دون تعاطف الأصدقاء والمجتمع وتضامنهم معاً لن يقوى أحدٌ على الوقوف وحدَه ، وعلى مجابهةِ يأسه وجِراحِهِ ، إذ لا يخفى على أحدٍ أنَّ التّعاطف ومساعدة الآخرين من التّصرّفات الإيجابيّة الّتي تعودُ بالفائدةِ على الأفرادِ والمجتمع ؛ لذلكَ يجب أن تنتشر بينَ الأفرادِ ، ولا سيّما بين فئة المراهقين.

في رواية "دود پشت تپه" تعاطف قاسم مع عزيز مع أنَّهُ جريحُ حربٍ أيضاً وحالته أسوأ من حالةِ عزيز.

تجلّى هذا التّعاطف بعد أن فقد عزيز بصره ، إذ حاول قاسم مواساته ومساعدته على الخروج من الحالة النّفسيّة السّيّئة كي يتمكّن من العودة إلى حياته الطّبيعيّة.

إنَّ قاسم لم يكن أعمى فحسب ، بل كانت ساقُه قد بُتِرَت من تحتِ الرّكبة أيضاً ، فلم يكن بإمكان أحد مساعدة عزيز سوى قاسم الّذي كانَ متمسّكاً بالأمل رغم معاناتِه ، وأراد لعزيز أن يتمسّكَ بِه ويواصلَ تعليمه ؛ «أعتقد أنَّ الحياة _بغضّ النّظر عن طولها_ أقصر بكثيرٍ ممّا تبدو عليه. بغمضة عين ستمرّ السّنوات والأشهر ، فإذا أمضيناها بالسّعادة والتّفاؤل ستمضي بسرعةٍ دون تعب... أمّا إذا أردنا أن ننظرَ إلى الحياة بسوداويّة ، فلن تكون سوى مرارة وبؤس ، حتّى لمن يملك كلّ شيء.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ٢١٤). «أريد أن أقول إنّه بغضّ النّظر عن الطّريقة الّتي تعيش بها الحياة ، فإنّها ستصبح كما تعيشها ، أمّا إذا نظرنا لها بشكل سيّئ فستكون مجرّد عذاب. لكنّي لا أنظر لها هكذا ، أقول لنفسي ، سواء أكنتَ جيّداً أم سيّئاً ، مبصراً أم أعمى ، ستنتهي حياة الجميع في وقت أقرب بكثير ممّا يعتقدون ، لذلك فإنَّ الشّيء الوحيد المهمّ هو أنّه يمكن للمرء أن يموت بسهولةٍ عندما يصل إلى نهاية هذا الطّريق.» (نفسه: ٢١٥). «وظيفتي أنا وأنت في هذه الحياة أن نمضي قُدماً ، قد نسقط على الأرض خلال مسيرنا لكن لا يهمّ ، المهمّ أن نبذل قصارى جهدنا ، هل تفهم؟» (نفسه: ٢١٥). «قال قاسم: "هل تتذكّر ذلك اليوم قلت إنه لا يمكن العيش دون عيون؟" قلت (عزيز): "نعم ، كيف ذلك؟" قال: "حاولت إقناعك ، لكن يبدو أنّك لا تفهمني على الإطلاق ، الآن أريد أن أقول لك إنّه ليس فقط من دون عيون يمكن أن تعيش ، ولكن حتّى دون عيونٍ وأرجل." قلت: "كيف؟ هل أنتَ متأكّدٌ من ذلك؟" قال: "لأنّني أعمى وبُتِرت إحدى ساقَيّ من تحتِ الرّكبة."» (نفسه: ٢١٧-٢١٨).

في رواية "سايه ملخ" ، تظهر هذه القيمة عندما يعطي القرويُّون بعض الأغنام لوالد صابر لشكره وتكريمه على ما فعله ؛ «لو لم يخبرنا هؤلاء الشّباب لما بقي شيء من الخراف لكي نعطيك واحداً أو اثنين منها ، يعني إذا كنّا لا نريد أن نعطيك حقّك يجب على كلّ واحدٍ منّا أن يعطيَك على الأقلّ نصفَ خرافه.» (بايرامي ، ١٣٨٨ش: ٢٤٥). في موضعٍ آخرَ من الرّواية نرى القرويّين يواسون والدَ حاتم بعد إصابة ابنه: «قال العمّ إدريس: "شكرًا لكم جميعًا ، الحمد لله ، إنّ حاتماً يتحسّن."» (نفسه: ٢٢٣). أيضاً عندما أُصيب حاتم طلب من صابر تركه والعودة إلى القرية ، لكنَّ صابراً لم يقبل إطلاقاً وبقيَ معه ليساعده على المشي والوصول إلى القرية ؛ «قال حاتم: "اسمع يا صابر! لن يستطيعوا أن يعثروا عليّ في هذا السّهل الواسع ، اعبر النّهر حالاً واذهب وأخبر النّاس. قلت: "لن أذهب إلى أيّ مكانٍ من دونك." قال: "هل تعرف ماذا سيحدث إذا وصل الخبر إلى النّاس متأخّراً؟"» (نفسه: ١٩٦).

عندما كان القرويّون في طريقهم إلى الجبال ، كان كربلائي ووهاب وراءهم: «كانت هناك عبوةٌ صغيرةٌ على كتفه ، لكن كان الأمر كما لو كنت تحملُ عبءَ العالم كلّه ، يمشي بضع خطوات ، ويمسك عصا ، ويتأوّه ، ثم يتوقّف. التفت إليه والدُ صابر وقال له:

- أعطني عبوتك سأحملها عنك ، ولكن كربلائي لم يقبل بذلك.

كربلائي: أنت الذي تحت وطأة حملك.

مشى كلاهما كتفاً بكتفٍ. قال كربلائي: "هل ترى نهاية عمري كيف أصبحت؟" قال: "لا يوجد باليد حيلة ، سوف تعود قريتنا أفضل من قبل."» (نفسه: ٢٣٠).

في رواية "آواز نيمه شب" ، كانت (آسيا) تمتلك القدرة على استيعاب مشاكل الآخرين ، وتفكّر دائماً في الأطفال والأمّهات والبالغين الّذين تأثّروا بالحرب وتريد مساعدتهم ؛ «أفكّر في الأطفال ، في الظّلام والرّعب تحت الأنقاض ، في خوف الأمّ الرّهيب عندما ترى بيتها ترابًا.» (غفارزادگان ، ١٣٩٦ش: ١٥).

اللّطف والمحبّة والاحترام

حاول كتّاب الدّفاع المقدّس إظهار قيم المحبّة واللّطف والاحترام في رواياتهم على اختلاف أنواع العلاقات بين شخصيّات الرّوايات ؛ لما لها من أهميةٍ كبيرةٍ في ترابط المجتمع وخاصّة وقت الحرب ، فأظهروا هذه القيم بين الأخ وأخته ، وبين الابنة وأبيها ، وبين الأصدقاء.

في رواية "دود پشت تپه" أظهر (بايرامي) المحبّة العميقة بين عزيز الكفيف وأخيه ؛ «أراد عزيز أن يتذكّر عندما نزل أخوه من السّيّارة ، وجاء إليه ليحتضنه ويقبّل بعضهما الآخر ، أراد أن يصل إليهما ، عندها يضع يده حول رقبته ، ويقبّل كلّ منهما الآخر.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١١). «فجأة شعرت بوجوده ، وملأت رائحتُهُ المألوفةُ أنفي ، وكان ذلك غريباً جدّاً بالنّسبة لي ، لم أسأل حتّى إذا كان أحدٌ هنا ، صرخت: "أخي!" وعانقني ، ولم أعد قادراً على كبح جماح نفسي وبكيت.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١٢). أشار الكاتب إلى الاحترام عندما عامل (عزيز) العمّ (نصرت) باحترام على الرّغم من أن العمّ نصرت مزح معه بقسوة. ونرى في مكان آخر أنّ عزيز لا يجيب كرم احتراماً لوالده ؛ «التفت إليّ كرم وقال: "من قال لك تركب؟" لم أجبه ، كان والدي جالساً بجواره. شغّل كرم السّيّارة وقال: "ماذا حدث؟ هل تعبت من المشي؟" كان يفكّر في أخذ عشرة تومان كأجرة له. لم أقل له إنّني لست متعباً.» (نفسه: ٢٨).

وعندما يخرج (لطيف) من المستشفى ، يُنقلُ بالسّيّارة إلى المخيّمات ، وهنا نرى (عزيز) لا يروي له قصّة مقتل زوجته وأولاده احتراماً لمشاعره.

أمّا في رواية "پل معلق" فكان (أمير حسنلو) يعامل (نادر) بلطف ، ويُخبره بأمورٍ مُهمّة ، ويتحدّث معه عن حالة الحاجز والجسر والرّقيب ، ويريد تهدئته بأيّ وسيلةٍ مُمكِنة. يظهرُ تعاطفُ الأخ مع أخته في مكانٍ آخر من الرّواية ذاتها ؛ عندما أرادت (نيلوفر) أن تمشي في اللّيالي الممطرة ويقبل شقيقها بذلك ولا يحتجّ على الرّغم من حلول اللّيل وبرودة الطّقس ، وعلى الرّغم من أن المارّة ينظرون إليهم بنظرةٍ يشوبها الشّكّ أحياناً ، وبنظرةٍ مهينةٍ بعض الشّيء أحياناً أخرى ، لكنَّ الأخ يقول: «نريد أن نمشي حتّى الصّباح ، حتّى لو كان الجوّ يسوءُ أو أمطرت حجارة.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١٥). «قال: "هل تريدين حقًّا الخروج ؟"

هزّت نيلوفر رأسها: "نعم يا أخي!"

- إذاً ارتدي ملابسك!

- هل أنت جادّ ؟

- نعم

- في تلك اللحظة وَمَضَ بريقٌ في تلك العيون السّوداء. فقالت: "إذاً سآتي".» (نفسه: ١٣).

أمّا في رواية "سايه ملخ" فقد أظهر الكاتب كيف أنّ صابر كان يسأل بلطف عن حاتم بعد إصابته: «كان حاتم جالساً على حصان ، كان أمامه جبلٌ من الأشياء المختلفة ، كان من الصّعب رؤيته من وراء تلك الأشياء ، قلت: "كيف حالك ؟ هل أنت على ما يرام ؟" قال: "نعم"» (بايرامي ، ١٣٨٨ش: ٢٣٢). ظهرت هذه القيم أيضا بين الابنة وأبيها بشكل جليّ في رواية "آواز نيمه شب" ؛ «آسيا تقول: "يا والدي العزيز! هل أسخّن الماء وأغسل رأسك ؟"» (غفارزادگان ، ١٣٩٦ش: ١٣).

الثّقة بالنّفس

لم يُظهِر (بايرامي) و(غفارزادگان) هذه الصّفة بشكل مباشر ، ولكنّهما أوحيا بها من خلال تصرّفات الشّخصيّات ، ولا سيّما تصرّفات الأبطال منهم ؛ لما لهذا الأسلوب الإيحائيّ من تأثيرٍ عميقٍ في المُتلقّي ؛ فاكتشاف القارئ لأهمّيّة هذه القيمة يرسّخها فيه ويحثّه عليها أكثر ممّا يفعل الأسلوب المباشر.

نلاحظ في رواية "دود پشت تپه" أنَّ عزيزاً تعرَّض لليأس والإحباط بسبب وضعه الجديد (فقدان بصره) ، ولكنَّهُ في النّهاية استطاعَ التّحلّي بالثّقة ، وخرج من أزمته منتصراً ليُباشر حياته من جديد. أيضاً في رواية "پل معلق" نرى أنَّ نادراً وقعَ في هوّةٍ عميقةٍ بسبب الشّعور بالذّنب تجاه أهله ووطنه ، ولكنّه في نهاية المطاف أثبتَ لنفسِهِ أوّلاً ، ثمَّ للجميع أنّه أهلٌ للثّقة ، وذلك عندما حطَّم طائرة العدوّ فاستعاد ثقته بنفسه ، وتابع حياته بشكلٍ طبيعيّ. أمّا في رواية "سايه ملخ" فقد أظهر أهل القرية الثّقة بالنّفس وبقدرتهم على مواجهة الغزو بالاتّحاد والتّعاون ، وبيقينهم بانتهاء كل المشاكل الّتي يتعرّضون لها.

ويرى القارئ هذه القيمة (الثّقة) أيضا في روايات (غفارزادگان) ، ففي رواية "شب أيوب" يُلحَظُ أنَّ أيّوب استطاعَ أن يتغلّب على شعورِهِ بالضّعف وفقدان الأملِ ، وأن ينتصرَ على إحباطِهِ بالثّقة بالنّفس ، لذا يُقرّر متابعة تعليمه ودراسته. أيضا في رواية "آواز نيمه شب" يُلحَظُ إصرار آسيا وثقتها بنفسها وبقدرتِها على مواجهة القصف والحرب والخوف ، بامتلاكها أسلوبها الخاصّ الّذي يُميّزها ؛ وهو كتابة القصة.

الجوانب السّلبيّة

تُظهِر الرّوايات التي دُرِسَت في هذه المقالة آثار الحرب السّلبيّة على الشّباب عامّةً ، والّذين تعرّضوا منهم لإصابات جسديّة بالغة كـ (فقدان القدرة على الرّؤية أو بتر أحد الأطراف أو...) خاصّةً. فهذه الحرب أدّت دورها السّلبيّ في شلّ حركة الشّباب ، وتقييدِ تفكيرهم ، ومنعهم من مواصلة حياتهم بشكل طبيعيّ. فأحداثها المؤلمة المتعدّدة كـ (فقدان أحد أفراد العائلة أو أغلبها أو أحد الأصدقاء ، والتّهجير ، ومشاهد القتل والتّدمير ، و...) تشكّل صدمةً لمن يشهدها أو يختبرها ، ولا سيّما في مرحلةِ الشباب ، فينتج عنها بشكل لا إراديّ سلوكٌ يُقيَّم على أنّه سلبي ؛ لذلك وَجَبَ على كتّابِ الدّفاع المقدّس التّطرّق للقيم الأخلاقيّة السّلبيّة الّتي تولّدها الحرب ، مع محاولة اقتراحِ طرقٍ لمعالجتها.

اليأس والاكتئاب والضّعف

تُعدُّ مشاعر اليأس والاكتئاب والضّعف من أسوَأ تبعات الحرب ومشاكلها على الصّعيد النّفسيّ ، لأنّها تقضي على أمل المراهق الجريح بالبقاء حياً ، وهوّ في هذه الحالة يحتاج إلى دعمٍ نفسيّ ومعنويّ من محيطه لينبعثَ الأمل في قلبِهِ من جديد ، ولتعود لهُ ثقته بنفسه. وهذا ما ناقشه المبحث السّابق عندما درس (القيم الأخلاقيّة).

وقد أدّى الكتّاب دوراً فعّالاً من خلال الإشارة إلى هذه المشاعرِ السّلبيّة ، وإلى كيفيّة التّخلّصِ مِنها من خلال التّحلّي بالقيم الأخلاقيّة الإيجابية. في رواية "دود پشت تپه" ، يظهر اليأس جليّاً على عزيز عندما أراد أن يتذكّر وجه أخيه ولم يستطع ، قال لنفسه: «كان الأمر كما لو فاتتني لحظةٌ رائعةٌ ، وعندما فكّرت في الأمر ، خوفٌ غريبٌ هزّني من رأسي إلى قدمَيَّ ، ثمَّ مثل لدغات الثّعابين التففت على نفسي ، حتّى إنّي بدوت وكأنّني أصرخ. بعد كلّ شيء هل من الممكن لشخصٍ أن ينسى وجهَ أعزّ إنسانٍ عليه بعد أن كان يعيش معه لسنوات؟» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١٢). تملّك عزيز الخوف بعد أن فقد بصره لأنّه لم يستطع تذكّر وجه أخيه ولكنَّ المحبّة المشتركة بين عزيزٍ وأخيه بدّدت الخوفَ ، فحلّت محلّه المحبّة ، وغمره الفرح بوجود أخيه.

وقد أُصيبَ عزيزٌ بخيبة أملٍ بعد استشهاد صديقه صادق ؛ «بعد استشهاد صادق لم أصبر على شيء ، كانت الأيّام أطول من ذي قبل ، الوقت لا يمرّ.» (نفسه: ١٩٨). أُصيب أيضًا بالإحباط الشديد بعد أن فقد بصره: «الآن أصبحتُ متأكّدًا من عدم وجود كهرباء ، فأنا لا أستطيع رؤية أيّ شيء ، كنت أعمى بالكامل ، وفقدت الوعي بسبب الحزن الشّديد.» (نفسه: ١٩٨). عالج الكاتب مسألةَ فقدان الأمل وإحباط عزيز من خلال توظيفه لقيمة التّعاطف ، وتأكيده على أهمّيّة الصّداقة ، فقاسم صديق عزيز يتعاطف معه ويساعده ويقدّم النّصيحة له ، إذْ يحثّه على متابعة تعليمه ؛ وذلك لكي يعود الأمل إليه ، ويثق بنفسه من جديد ، وقد نجح قاسم في ذلك عندما يظهر حماس عزيز لكتابة القصّة الخاصّة به.

أمّا في رواية "شب أيوب" فقد أصيب أيّوب بجروح جسديّة ونفسيّة في أثناء الحرب ؛ تمثّلت الجروح والإصابات الجسديّة بفقدانه لبصره وإحاطة الظّلام الدّامس به ، أمّا المشاكل النّفسيّة فقد كانت نتيجةً لاستشهاد صديقه جليل ، وللكثير مِن الحوادث المؤلمة الّتي شهِدَها في منطقة الحرب ، كلّ هذا جعل أيّوب مكتئباً وضعيف الإرادة ، فآثرَ العزلةَ وفضّلَ الابتعادَ عن الناس ؛ «شعرت أن استشهاد جليل قد

أصبح ذريعةً لي للهروب من الواقع ، فقد صنعت لنفسي دوّامة سحبتني إليها وأغرقتني.» (غفارزادگان ، ١٣٨٦ش: ٦٩).

طرح الكاتب الجوانب السلبية التي يمكن أن يمرَّ بها الشّباب الّذين يحيون حياةً تُشبه حياة أيّوب ، وحاول أن يطرح حلاً لتخطّيها وتجاوزها ، وكان هذا الحلّ _برأي الكاتب_ يتمثّلُ بمساعدة صديقٍ عطوف ، أو شخصٍ مقرَّب كالدّكتور صادقي الّذي خاطب أيّوب بالكلام القاسي والإهانة لا باللّطف واللّين ، ليخرجه من دوامة اليأسِ السّوداء الّتي حاصَرَته ، ونجح الدّكتور صادقي بأسلوبه في مساعدة أيّوب لأنّهُ قرّرَ أن يُتابع تعليمه ، وبذلكَ عاد له الأمل والثّقة بالنّفس.

وحالة اليأسِ والضّعفِ نفسها تبدو على نادر في رواية "پل معلّق" ، فبعد استشهاد أفراد عائلته في أثناء القصف عانى من الفراغ وانعدام الهدف في الحياة ، ولكنّه ما لبثَ لاحقاً أن حدّد هدفاً لنفسه ، وهو تحطيم طائرات العدو ، وممارسة واجبه في حماية الثّكنة العسكريّة الموجود فيها ، وقد نجح في ذلك ، ومع نجاحه هذا في تحقيق هدفه عاد الأمل له من جديد.

الرّغبة في الموت

ليست الرّغبةُ في الموت إلّا نتيجةً طبيعيّةً للشّعور باليأس والعجز والكآبة ، وهي من أهمّ المشاكل الّتي قد يّعاني منها المراهقون في أثناء الحرب وبعدها ، وتظهر هذه الرّغبة عند جرحى الحرب عادةً ؛ فمنهم من فقد أطرافه ، ومنهم من أصيب بالعمى ، لذلك فإنَّ فكرةَ الانتحارِ لا تنفكُّ تدورُ في رؤوسهم بسبب واقعهم الصعب ووضعهم السّيّئ.

وبناءً على خطورةِ هذا التّصرّف وجد الكتّابُ أنفسهم مُلزمينَ باقتراحِ حلولٍ يواجهونَ بها هذه المشكلة ، فكانت قصصهم ورواياتهم تحثّ على التّحلّيّ بالجوانب الأخلاقيّة الإيجابيّة المذكورة سابقاً. في رواية "دود پشت تپه" يبدو عزيز شخصاً عاجزاً تماماً يفكّر بالموت للهروب من واقعه ؛ «كان عقلي مشلولاً لدرجة أنَّ كلّ شيء بدا لي كما هو ، لم أعد أهتمّ بما حدث لي ، أردت أن أموت ، عندما فكّرت في الموت لم أجده صعباً وحزيناً.» (بايرامي ، ١٣٨٣ش: ١٩٩). «ساء حالي أكثر ذلك اليوم ، عندما فكّرت في أنّي لن أرى مكاناً آخر أبداً ، أتمنّى لو كنت ميتاً ، كيف يمكنني العيش من دون عيون؟» (نفسه: ٢٠٣). إذا كانَ الكاتب قد عرض هذهِ الأفكارَ السّوداويّةَ الّتي تحتلّ عقل عزيز فإنّه لم يكتفِ بذلكَ ، بل عرضَ في قصّتِه سبلَ علاجها عندما جعلَ شخصيّه (عزيز) تستعيدُ حبَّ الحياة بمساعدة الآخرين له ، وبالشّعور بالثّقة بالنّفس والأمل.

أمّا في رواية "پل معلّق" فيعاني نادر من الفراغ واللّامبالاة في الحياة بعد استشهاد أفراد أسرته في أثناء القصف ، هذه الحادثة تجعله يلوم نفسه دوماً وينظر إلى نفسِهِ بوصفه إنساناً ضالّاً ، ولأنّه يبغضُ نفسه ويلومها نراه يرحل إلى مناطق بعيدةٍ على بعد مئة كيلومتر فقط من خطّ الجبهة في مقاطعة لورستان لمعاقبة نفسه بطريقة ما ، لكنَّهُ يجدُ أخيراً الدّواء الشّافي لجراحه عندما يعيشُ عشقاً شديداً فيُصالح الحياةَ ونفسَه ، ويصيرُ راغباً في بناء عائلةٍ جديدة.

الغضب

يترك الغضبُ والعجز عن السّيطرةِ على الانفعالاتِ أثرَهُ السّلبيّ على المجتمعِ ، فهو كفيلٌ ببثّ النّزاعات ونشر الخلافات ، والمشاحنات. مع أنَّ للغضب هذا الأثر السّلبيّ الكبير ، فإنّنا لم نقف في الروايات على مشاهدَ كثيرة يظهرُ فيها هذا الشّعور ، ويُمكن القول إنَّ هناكَ شخصيّتين فقط عرضهما الكتّاب في مزاجٍ عصبيّ ، هما شخصيّة الرّقيب حيدري في رواية " پل معلق" ، وشخصيّة الدّكتور صادقي في رواية "شب أيوب".

ففي رواية "پل معلق" نرى الرّقيب حيدري يكون غالباً في مزاجٍ عصبيّ ويصرخ على العساكر ، كان يشكّ في كلّ شيء بعد تدمير الجسر ، وبمجرّد دخول نادر إلى الثّكنة العسكريّة ، كان ينظر إليه بازدراءٍ وشكٍّ ، ويخاطبه بغضبٍ وبحدّة.

وفي رواية "شب أيوب" كان الدّكتور صادقي بعيداً كلّ البعد عن اللّطف في الكلام ، إنّه مدرّس في فصلٍ تعليميّ كيميائيّ ، يُعلّم كما لو أنّه أُجبِر على القدوم إلى المنطقة ، يُهين الآخرين وينظر إليهم بازدراء.

الخاتمة والاستنتاج

يمكن تقسيم النتائج تبعا للجوانب المدروسة إلى قسمين كالتالي:

الجوانب الإيجابيّة لروايات الدّفاع المقدّس

لقد شجّعَ كلّ من (محمد رضا بايرامي) و(داوود غفارزادگان) على القيم الأخلاقيّة نفسها فأكّدا ضرورةَ الدّفاع عن الوطن والتّضحية من أجله لتحقيق الانتصار في وجه الأعداء وطردهم من البلاد. كانتِ الشّجاعة هي الصّفة الضّروريّة الّتي حثَّ الكاتبانِ كلاهما الشّبابَ وسكّانَ البلادِ على الاتّصافِ بها ، إما بشكل مُضمَّن أو صريح ، فالشّخصيّات كلّها تقريباً كانت تتحلّى بالشجاعة لتدافع عن الوطن بكلّ ما تملك من قوّة. إضافة إلى ذلكَ أبرز الكاتبان كلاهما أحدَ أهمّ التّصرّفات الأخلاقيّة الّتي لا يمكن تحقيق النّصر بدونها وشجّعا القارئ عليها ؛ وهيَ التّعاون والاتّحاد وتكثيف الجهود لمواجهة العدو.

الجوانب السّلبيّة لروايات الدّفاع المقدّس

أكّدَ الكاتبَان كلاهما ضرورةَ التّغلّب على الجوانب السّلبيّة الّتي خلّفتها الحرب ، وما تركته أحداثها المؤلمة ك(موت الأهل ، أو التّهجير ، أو فقدان أحد الأطراف ، أو فقدان البصر ، ...) مِن آثار تشلّ حياة الانسان والمجتمع معاً. من هذه المشاكل والآثار مشاعر اليأس والاكتئاب التي ترافقها الرّغبة في الموت ، وعدم القدرة على متابعة الحياة ، وسيطرة الأفكار السّلبيّة السّوداوية والإحباط على من عانى مِن هذه الآثار.

حاول (بايرامي) و(غفارزادگان) معالجة هذه المشاكل والأزمات النّفسية بطريقة مشابهة ، وذلك بالتّأكيدِ على دورِ الآخرين في حياة من تعرّض لأذى الحرب ، فمساعدة الأخرين وتعاطفهم وتضامنهم مع أبطال الرّوايات ، والتّعامل معهم بلطفٍ ومحبّة كلّ ذلك يسهم في التّغلّب على المشاكل واسترداد الرّغبة في مواصلة الحياة ، لكنّهما __وإن أكّدا دور الآخرين__ لم يهملا دور الفرد نفسه ، إذ أكّدا أهمّيّة الثّقةِ بالنّفس وضرورة التّمسّك بالأملِ مهما كانَ ضعيفاً.

يمكن القول أخيراً: إنَّ (بايرامي) و(غفارزادكان) ركّزا في قصصهما على فكرة الدّفاع عن الوطن والتّضحية من أجله ، وذلك لزرع هذه العقيدة في أذهان الشّباب ، ليكونوا قادرين على تحمّل مسؤوليّة حماية وطنهم في المستقبل ، وأكّدا ضرورة التّحلّي بالأمل لأهمّيّته في تخطّي الأضرار النّفسيّة والجسديّة ، وفي مواصلة الحياة ، الأمر الّذي يؤدّي إلى نهضةِ المجتمع من جديد.

المصادر والمراجع

بارونيان ، حسن. ١٣٨٧ش ، شخصيت‌پردازی در داستان‌های کوتاه دفاع مقدس ، چاپ اول ، تهران: بنیاد حفظ آثار ونشر ارزش‌های دفاع مقدس.

بايرامی ، محمدرضا. ١٣٨٣ش ، دود پشت تپه ، چاپ هشتم ، تهران: نشريه قديانی.

ـــــــــــــــ ١٣٨٣ش ، پل معلق ، چاپ دوازدهم ، تهران: افق.

ـــــــــــــــ ١٣٨٨ش ، سايه ملخ ، چاپ ششم ، تهران: نشريه سوره مهر.

داد ، سيما. ١٣٧٥ش ، فرهنگ اصطلاحات ادبی: واژه‌نامه مفاهيم واصطلاحات ادبی فارسی واروپايی به شيوه تطبيقی وتوضيحی. چاپ دوم ، تهران: انتشارات مروارید.

شريفی ، احمدحسين. ١٣٨٨ش ، آيين زندگی ، چاپ دوم ، قم: انتشارات معارف.

غفارزادگان ، داوود. ١٣٩٦ش ، آواز نيمه‌شب ، چاپ ششم ، تهران: انتشارات نيستان.

ـــــــــــــــ ١٣٨٦ش ، شب ايوب ، چاپ دوم ، تهران: انتشارات سوره مهر.

مسكويه ، ابوعلی. ١٣٧٥ش ، كيمياى سعادت ، ترجمه: طهاره الأعراق ، چاپ اول ، تهران: مؤسسه نشر ميراث مكتوب ، نقطه.

المقالات والرسائل الجامعية

اخلاق عالی ، مريم. ١٣٩١ش ، بررسی ومقايسه مفاهيم اخلاقی وتربيتی در ادبيات كودک ونوجوان با تكيه بر آثار صمد بهرنگی ، رضا رهگذر ، سيروس طاهباز وهوشنگ مرادی كرمانی ، استاد راهنما: احمد طحن ، پايان نامه ارشد در دانشكده ادبيات و علوم انساني ، دانشگاه پيام نور استان فارس.

حميدي ، فريدة و إمام جمعة ، محمدرضا و آزادي ، اعظم. ١٤٠١ش ، «أثر التعليم بواسطة أسلوب حلقات الاكتشاف الفلسفي على مهارات حل المشاكل الاجتماعية والإبداع لدى أطفال ما قبل المدرسة» ، دراسات في العلوم الإنسانية ، العدد ٢٩(٢) ، صص ١٢١-١٤٢.

سجاديه ، نرگس سادات و صادقی گوغری ، زهره. ١٣٩٩ش ، «جايگاه ادبيات كودكان در جغرافيای تربيت: از چالش-های پيش پا تا افق‌های پيش رو» ، مجله فلسفه تربيت ، شماره ٥(٢) ، صص ٨١-١٠٧.

سلمان ، ميرفت. ١٣٩١ش ، مقايسه بين اسلوب‌های هنری واخلاقی در ادبيات كودكان (نادر ابراهيمی –ايران- و لينا كيلانی –سوريه-) ، استاد راهنما: اميد مجد ، پايان نامه ارشد در زبان و ادبيات فارسی ، دانشگاه تهران.

شيخ‌رضايي ، حسين و ديگران. ١٣٨٩ش ، «رشد اخلاقی كودک وادبيات داستانی به همراه بررسي آثار داستاني جمشيد خانيان از منظر رشد اخلاقی» ، مجله تفكر و كودک ، شماره ١ ، بهار و تابستان ، صص ٣٧-٦٧.

عاملی رضايی ، مريم. ١٣٩٧ش ، «رويكردهای نودر نقد اخلاقی ؛ مطالعه موردی سه مجموعه داستان كوتاه» ، نقد ادبی ، دوره ١١ ، شماره ٤٣ ، صص ٩١-١٢٦.

عباسلو ، احسان. ١٣٩١ش ، «نقد اخلاقی» ، كتاب ماه ادبيات ، دوره خرداد ، شماره ١٧٦ ، صص ١١٧-١١٠.

عزيزی ، ناهيد وآتم ، ليلا. ١٣٩٤ش ، «بررسی مفاهيم تعليمی واخلاقی در داستان‌های كودک بعد از انقلاب گروه سنی (ب وج)» ، المؤتمر الدولي الأول للابتكار والبحث في الآداب والعلوم الإنسانية.

كياني ، معصومه و مهرمحمدي ، محمود و قمصري ، علي‌رضا صادق‌زاده ونوذري ، محمود و نوع‌پرست ، خسرو باقري. ٢٠١٦م ، «عرض النموذج الإسلامي في التربية الروحية للأطفال» ، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ، العدد ٢٢(٢)، صص ٣٣-٥٢.
مسائلي ، نسرين و نيكنشان ، شقايق. ١٣٩٥ش ، «بررسی مفاهيم اخلاقی و مفاهيم ضد اخلاقی در پويانمايی‌های عرضه شده برای کودکان و نوجوانان» ، مجله تربيت اسلامی ، شماره ٢٣ ، پاييز و زمستان ، صص ٦٩-٩٠.
نوعي ، سارا و اشرف زاده ، دکتر رضا و فخراسلام ، دکتر بتول. ١٤٠٠ش ، «بررسی مولفه های رشد اخلاقی در داستانهای احمدرضا احمدی (با رويکرد به نظرية يادگيری اجتماعی)» ، نشريه پژوهشنامه ادبيات تعليمی ، شماره ٥٢ ، زمستان ، صص ١٥٦-١٧٧

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الاستشهاد إلى: الخطيب مريم ، باباسالار علي أصغر ، دراسة ميزات روايات المراهقين للدّفاع المقدّس (داوود غفارزادگان ، محمدرضا بايرامي)، دراسات الأدب المعاصر ، السنة ١٥ ، العدد ٥٧ ، ربيع ١٤٤٤ ، الصفحات ١٣٨-١١٦.